

فقه الأسماء الحسنى

الكبير، العظيم

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٢-٥-١٤٢٨هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

معاشر المستمعين، ومن أسماء الله الحسنى: الكبير، العظيم.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، الشورى: ٤٠، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]

والكبير العظيم أي الذي له الكبرياء نعتاً والعظمة وصفاً؛ قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني شيئاً منهما عذبتني)) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

معاشر المستمعين، ومعاني الكبرياء والعظمة نوعان:

أحدهما يرجع إلى صفاته - سبحانه - ، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوة، والعزة، وكمال القدرة، وسعة العلم، وكمال الجود، وغيرها من أوصاف العظمة والكبرياء.

من عظمت - سبحانه - أن السموات السبع والأرضين السبع في يده سبحانه كخردلة في يد أحدنا كما قال ذلك ابن

عباس رضي الله عنهما، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فله - سبحانه وتعالى - الكبرياء والعظمة، الوصفان الذي لا يقادر قدرهما، ولا يبلغ العباد كنههما، وقد صح في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)).

النوع الثاني أنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غيره؛ فيستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له والخوف منه، وإعمال اللسان بذكره والثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه - سبحانه - : أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

ومن تعظيمه وإجلاله: أن يخضع العبد لأوامره، ومن شرعه وحكم به، وأن لا يعترض على شيء من مخلوقاته، أو على شيء من شرعه.

ومن تعظيمه - جل وعلا - : تعظيم ما عظم واحترامه من زمان ومكان وأشخاص وأعمال.

والعبادة - معاشر المستمعين - روحها تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا؛ شرعت التكبيرات في الصلاة، في افتتاحها، وتنقلاتها؛ ليستحضر العبد معنى تعظيمه في هذه العبادة التي هي أجل العبادات؛ بل إن التكبير مصاحب للمسلم في عبادات عديدة

وطاعات متنوعة؛ فالمسلم يكبر الله عندما يكمل عدة الصيام؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويكبر الله في الحج؛ قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَذَاكُمْ وَيَشْرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، وكذلك يصحب المسلم في تكبيراته المطلقة كل وقت وحين. ولهذا يتبين -معاشر المستمعين- مكانة التكبير، وجلاله قدره، وعظمه شأنه من الدين.

والتكبير يراد به أن يكون الله عند العبد أكبر من كل شيء؛ كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَعْدِي بن حاتم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : ((يا عدي، ما يسرك؟ أيسرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله إلا الله. يا عدي، ما يسرك؟ أيسرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل شيء أكبر من الله؟))، وبه يتبين أن معنى (الله أكبر) أي من كل شيء؛ فلا شيء أكبر ولا أعظم منه.

ولهذا؛ يقال: إن أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال هي (الله أكبر)، أي: صفه بأنه أكبر من كل شيء، واعتقد أنه أكبر من كل شيء.

معاشر المستمعين، وكما تقدم التكبير معناه التعظيم، لكنه ليس مرادفاً له؛ فالكبرياء أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها في المعنى، ولهذا؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وفي قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته؛ فإن الكبرياء تتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل، ولهذا؛ جاءت الألفاظ المشروعة

في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر)؛ فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: ((يقول الله تعالى: الكبرياء رداي، والعظمة إزارى؛ فمن نازعني واحداً منهما عذبتني))؛ فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم؛ صرح بلفظه، وتضمن ذلك التعظيم. انتهى كلامه رحمه الله.

معاشر المستمعين، وها هنا أمر ينبغي التنبيه له، وعدم إغفاله؛ وهو أن المسلم إذا اعتقد وآمن بأن الله - سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى - أكبر من كل شيء، وأن كل شيء مهما كبر يصغر عند كبرياء الله وعظمته؛ علم من خلال ذلك علم اليقين أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وجماله وسائر أوصافه ونعوته أمر لا يمكن أن تحيط به العقول، أو تتصوره الأفهام، أو تدركه الأبصار والأفكار؛ فالله أعظم وأكبر من ذلك، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَةُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وأمر آخر؛ ألا وهو: أن من علم مدلول هذين الاسمين؛ ذل لربه، وانكسر بين يديه، وصرف له أنواع العبادة، واعتقد أنه المستحق لها دون سواه، وعرف أن كل مشرك لم يقدر ربه العظيم حق قدره؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

طَبَاقاً (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً (١٩) لِّتَسْأَلُوا مِنْهَا سُبُلًا فَجَاجاً (٢٠) [نوح: ١٣-٢٠]. وسبحان الله! أين ذهبت عقول هؤلاء المشركين حين صرفوا ذلم وخضوعهم وانكسارهم ورجاءهم وخوفهم ورغبتهم ورهبهم وحبهم وطمعهم إلى مخلوقات ضئيلة، وكائنات ذليلة، لا تملك لنفسها شيئاً من النفع والضرر، فضلاً عن أن تملكه لغيرها، وتركوا الخضوع والذل للرب العظيم، والكبير المتعال، والخالق الجليل، تعالى الله عما يصفون، وسبحان الله عما يشركون؟!

وهو وحده سبحانه المستحق للتعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل، وهذا خالص حقه؛ فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره، أو يشرك بينه وبينه فيه، ومن اتخذ الشركاء والأنداد ما قدر الله حق قدره، وما عظمه حق تعظيمه - سُبحَّانَهُ وَتَعَالَى - ، الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلَّت القلوب من خشيته، وذلت له الرقاب، تبارك الله رب العالمين.

ولهذا تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

